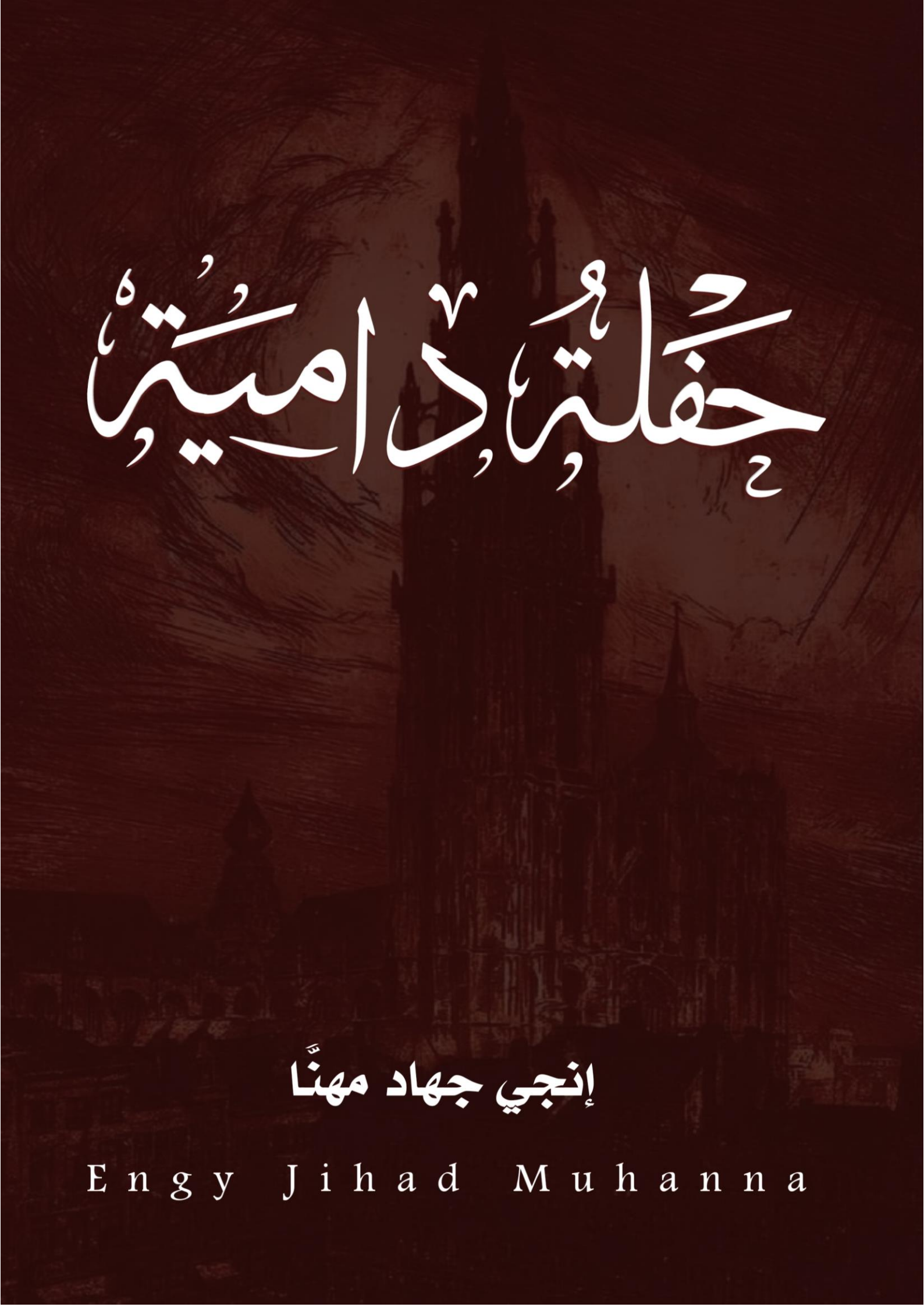

إنجي جهاد مهنّا

Engy Jihad Muhanna

حفلة دامية

اسم الكتاب: حفلة دامية.
اسم المؤلف: إنجي جهاد مهنّأ
مقاس الصفحة: ١٧ × ٢٤ سم.
عدد الصفحات: (١٥صفحة).
تصميم وتنسيق: مجرد بداية.

محفوظة جميع الحقوق

الطبعة الأولى

١٤٤٦هـ

مجرد بداية

حفلةٌ دامِية

قصة قصيرة

إنجي جهاد مهنَّا

٢٢٥

عـلى ذاك المقعـدِ الـوثير وجـدتُ نفسي ـ جالسـاً في أحـد أبهـى و أفخـم الصـواوين الملكيَّـة، الكثـيرُ مـن الموائـدِ المسـتديرة و الكـراسي الفخمـة المزيَّنـة بـأبهى الأقمشـة المخمليَّـة و السَّـتائرُ البرَّاقـةُ تُضـفي منظـراً يـوحي بـالثَّراء الفـاحش عـلى ذاك المكـان ، الثريَّـات العملاقـةُ المثبّتـةُ في تلـك الأسـقفُ المُرصَّـعة تسـحرُ الألبـاب و الكثـيرُ مـن الزَّخـارفِ و النُّقـوشِ المنمَّقـة عـلى جـدارنِ القاعـةِ الملكيَّـة، هـا قـد عـادَ الحضـور مـن قاعـةِ الـرَّقص بعـد أن أعلـنَ عـازف البيـانو انتهـاءَ سـمفونيتهِ بشـكلٍ احترافيّ ..

النِّسـاءُ بأحـذيتهنَّ الزُّجاجيـة و ضـحكاتهنَّ الرَّقيقـة تجعلـكَ تسـتديرُ بشـكلٍّ تلقـائيٍّ لمشـاهدةِ ثيـابهنَّ الفارهـة و فسـاتينهنَّ شـديدة الأناقـة و أقـراطهنَّ الألماسـية المتدليَّـة و مجـوهراتهنَّ البراقـة باهظـة الـثمن ، تتـأبَّطُ كـلُّ واحـدةٍ مـنهنَّ ذراع أميرهـا، الأُمـراءُ ذوو البـدلاتِ الرسـمِّيةِ السـوداء و القمصـان بياقاتهـا العاليـة و ربطـاتِ العُنـقِ الحريريَّـة، هـا قـد عـادوا إلى أماكنهم لتناولِ وجبةِ العشاء ..

جاء النوادلُ بخفَّةٍ كلٌّ منهم يجرُّ عربتهُ بخشوعٍ و احترامٍ تام، مُطأطئينَ رؤوسهم رهبَةً من أسيادهم ، و فجأةً تدفَّقت رائحةٌ مثيرةٌ للغرابة تكادُ تشعركَ بالقيء من قزازتها ..

فُتحت الأواني و جُهِّزت أطباقُ الكريستال على الطاولاتِ المُستديرة و سُكبَ العصيرُ الأحمرُ في كؤوسِ الزُّجاجِ ..

و لكن مهلاً ..

أطباقهم قد امتلأت بلحومٍ بشريَّة و كؤوسهم المُترعةُ بالدَّمِ القانىء ..

وازدادت ملامحهم وحشيَّة ..

ذاكَ الشَّابُ أراق الدَّم حتِّى تسرَّب من شدقيهِ و امرأةٌ هُناك لم يُروَ ظمأها بعد، و العجوزُ ذو النَّظارةِ المُستديرة ينهشُ اللَّحم بشراهةٍ و نشوةٍ مُخيفة.

و بينما كنتُ أُحملقُ شاحبَ اللَّون بأشنعِ المظاهرِ و أكثرها اشمئزازاً ، تردَّد على مسمعي صوتُ طفلٍّ قد أمسكُ بكمِّي و شدَّني نحوهُ بيديهِ النَّحيلتين و رمقني بعينينِ

جاحظتين و وجهٍ باهتٍ مكتظٍ بالخدوش و ثيابٍ مُمزَّقة تسترُ جسدهُ قليلاً من العريِّ و فاههُ المُزرقُّ يرتجفُ من البرد و الخوف .. تمتم مشيراً بإصبعهِ الصَّغير :

" لقد أخذوا أخي .. أخذوه إلى المعصرة .."

هُنا تسمَّرتُ أمامهُ بعينينٍ مندهشتين دونَ أن أنبسَّ ببنتِ شفة، و بتُّ أُقلِّبُ الأفكارَ في رأسي من هولِ صدمةِ ما يجري أمامي.

صفعتُ وجهي عدَّةَ مرَّاتٍ علَّني أستفيقُ من هذا الحُلمِ المُزعج، كلَّا .. ليسَ بحُلمٍ إنَّهُ كابوسٌ مُرعبٌ و سأصحو منهُ ..

"سأصحو من هذا الكابوسِ أليسَ كذلك؟" نظرتُ في عيني الطِّفلِ، أمسكَ بخُنصري بإحكام، أجهشَ بالبُكاء تكادُ الكلماتُ تتكسَّرُ و هي تخرجُ من فاههِ بصعوبة:"لن تستطيعَ الرَّحيل قبلَ أن تأتي معي، تعالَ .. أنا لستُ وحدي، و إن لم تأتي و تساعدنا سنفنى كُلَّنا و سيكونُ مآلنا المعصرة."

ثُـمَّ شرعَ يشـدُّني أكثـر بيديـهِ النحيلتـين، فاسـتقمتُ أسـيرُ خلفَـهُ بخطـىً حـذِرة، التفـتُّ خلفـي أُلقـي نظـرةً أخـيرة عـلى تلـكَ الحفلـةِ الدَّاميـة أكمِّـمُ أنفـي و فمـي كـي لا أختنـقَ مـن روائـحِ الـدَّم البشـريِّ المُراقـة في كـلِّ مكـان، لم يلحـظْ أحـدٌ مـن الحـاضرين مغـادرتي لتلـك القاعـةِ الضَّـخمة، وَلجنـا بابـاً أسـوداً عملاقـاً كـانَ قـد تُـرِكَ مفتوحـاً بقـدرٍ بسـيط، و أمـامي ذاكَ الطِّفـلُ النَّحيـلُ يمشي- واهنـاً و كـأنَّ جبـالَ الأرضِ قـد أثقلـت جسدَهُ.

لم نتحـدث أبـداً في تلـك الأثنـاء، كنـتُ فقـط أُفكِّـرُ أنَّ هـذا هـوَ السـبيل الوحيـد للخـروجِ مـن الكـابوسِ الـدَّموي و عـليَّ أن أسلكهُ شئتُ أم أبيت.

تردَّد صدى الصبيُّ في أرجاء الممرِّ الضَّيقِ الموحش:

"من هُنا، اتبعني".

آلافُ الخيـوطِ العنكبوتيَّـة المنسـوجة تتـدلَّى مـن حـوافِ السـقفِ المُـنخفض، و أصـواتُ حسـيسٍ تثـيرُ الرَّهبـةَ في خـافقي، أسرابٌ مـن الخفـافيشِ تصـفِّقُ بجناحيهـا تـبرقُ أعينهـا في

جنحِ الظَّلام، "مشعلانِ فقط سيَفيا بالغرض يا سيِّدي" مدَّ الصَّبي يدهُ إليَّ بعد أن أضرمَ النارَ بحجَري صوانٍ و ناولني قطعةً خشبيَّةً تلتهمُ النَّارُ أعلاها.

استطعتُ إثر ذلك ملاحظةَ قماءةِ المكانِ مقارنةً بالقاعةِ الفارهةِ التي كنتُ فيها، التقطَ الصبيُّ مفتاحاً صَدِئاً من أسفلِ بساطٍ مُمزَّقٍ بالٍ، و أدار المفتاحَ في بابٍ خشبيٍّ مُتآكل ثُمَّ ركلهُ بقدمهِ الصَّغيرة، فُتحَ البابُ على مصراعيه، مئاتٌ العيونِ كانت تُحدِّقُ إليَّ ..

مئاتُ العيونِ الجاحظة .. المُرهقة .. المُنطفئة،

هُنا ارتجفت رُكبتايَ إثر ما رأيت، مئاتُ الأطفالِ العاجزين المُنهكين يتسمَّرونَ أمامي بأعينٍ باهتة، أرى إنعكاس وجهي الحائر في أحداقهم المُظلمة، شعرتُ و كأنَّ سيفاً قد اخترقَ قلبي و خرجَ نصلهُ من ظهري حينها أدركتُ أنَّ الصَّبيَّ الَّذي صحبني إليهم أفضلُ حالاً منهم بآلافِ المرَّات.

أولئكَ الأطفالُ مُختلفينَ الأشكالِ و الأعراقِ و الأجناس، منهم أصحابُ البشرةِ السَّمراء الَّذين قاد بانت عظامهم من شدِّةِ الجوع و العَوز، أمَّا أصحابُ العرقِ الأصفر كأشباحٍ بلا روح بأوجهٍ باهتة يُرثى لحالهم المُزرية، عددٌ لا بأسَ بهِ من الأطفالِ البيضِ قد زُركشتْ أناملهم النحيلة بالنُّدوب و طمستِ الكدماتُ ملامح وجوههم.

و لكنَّ الغصَّةُ الكُبرى الَّتي جلعتني أدفنُ رأسي بينَ يديَّ مُجهشةً بالبكاءِ هُم أبناءُ بلدي ..

قرأتُ في مُحيَّاهُم اسمها، حُفرتْ على جلدهم خريطتها، ذُرفتْ دموعهم .. تلكَ الدُّموعِ ذكرتني بحباتِ المطرِ الأولى و هيَ تُداعبُ ثغورَ الياسمين.

و لكن لماذا .. لماذا؟

جلستُ القُرفصاء أمامَ إحداهنَّ، مسحتُ الدَّمع عن خدَّيها بكفَّيَّ المرتجفين ..

رأيتُ في قزحيَّتها السُّندسيتين غاباتِ بلاديَ الخضراء، رأيتُ في النَّمشِ المنثورِ على وجنتيها رمالُ شُطآننا الذَّهبيَّة، و في ضفيرتيها البنِّيتينِ رائحةَ تُرابَ وطننا الطاهر.

حضنتها، فالتفَّ حولي سائرُ الأطفالِ يطوقونني بأذرعهم النَّحيلة الهشَّة تحسستُ أيديهم الباردة واحداً واحد، ثمَّ غصتُ في أتراحهم .. أنصتُ لمآسيهم بصمتٍ أليم، و صوتُ صُراخٍ ينهشُ عقلي بنهمٍ " ما ذنبُهم؟ .. لماذا فُرضَ على أرواحهم الغضَّة و أفئدتهم الصَّغيرة أن تعيش مرارةَ هذه الحياةِ التَّعسِة؟

ما ذنبُ أعينهم البريئة الصَّافية أن تُبصرَ أقسى أنواعِ الاضطهادِ ؟ .. ما ذنبُها أن تتكدَّرُ كُلَّما لمحت أنيابَ مُعذبيها و هم يتلذذونَ بمذاقِ الدِّماء؟ .."

و بقيَتْ آلافُ التَّساؤلات تحاصرني حتى غلبني النَّعاس.

رائحةُ البيضِ المقليِّ النفَّاذة تتسلَّلُ إلى أنفي، و صوتُ أغنيةٍ مألوفة تنسابُ إلى مسمعي، شخصٌ ما يناديني من بعيد، و خطوات خفيفة لشخصٍ ما يتجوَّلُ في الأرجاء ..

خيطٌ من ضوء الشَّمسِ التَّائه يخترقُ جفنايَ المغمضين، فتراءى لعينيَّ خيالاتٌ باللَّونِ الأحمر، لا ريبَ أنَّهم أولئكَ الدَّمويُّون قد عثروا على الأطفال!

صرختُ بكلِّ ما أوتيتُ من قوَّة: "لا تأخدوهم ... لا تأخدوهم"

شعرتُ بيدٍ دافئة تلمسُ راحةَ كفِّي ببطء..

"ولدي.. ابني.." ،فتحتُ عينيَّ أتفحَّصُ وجهاً يحدِّقُ بي، رؤيتي لا تزالُ ضبابية ..

اتّسعت عينايَ أكثر و بذهولٍ تام ..

إنَّها أُمِّي!

_"هل أنتَ بخيرٍ يا بني؟ جسدكَ يتصبَّبُ عرقاً و كنتَ تصرخ حتماً إنَّهُ كابوسٌ مزعج راودكِ، هيَّا انهض و اغتسل، الفطورُ جاهز و سيبردُ الشَّاي إذا تأخرت."

نهضتُ بخطىً متثاقلة إلى مرآةِ الغرفة اتأمَّلُ وجهي النَّدي بحبَّاتِ العرق و عينيَّ المنتفختين من كثرة النوم ...

"ليتهُ كان مجرَّد كابوسٍ مزعجٍ يا أُمِّي، ليتني أنقذتهم قبل أن يهلكوا كأخوتهم ضحيَّةَ حفلةٍ دامية."

النهاية...

ليتني أنقذتهم قبل
أن يهلَكوا كأخوتهم
ضحيَّةَ حفلةٍ داميةٍ